

## المُلخَص

### إسرائيل والربيع العربي

دار الحديث منذ العام 2011 حول الموقف الإسرائيلي من الاحتجاجات السياسية التي مرت بها المنطقة العربية، والتي عُرفت بـ "الربيع العربي" أو "الانتفاضات العربية"، ومدى انعكاسها على الأوضاع الإسرائيلية. وهي احتجاجات شكلت صدمةً لمعظم مراكز البحوث وأجهزة الاستخبارات والمؤسسات السياسية والعسكرية على مستوى العالم وخاصةً في إسرائيل. وقد فرضت أحداث الربيع العربي تحديات سياسية لمعظم القوى السياسية المحلية والإقليمية والدولية، وأصبح مطلوباً من هذه الجهات بلورة سياسات متسارعة للمحافظة على مصالحها والعمل على التكيف مع نتائج هذه الأحداث.

ومن هنا يأتي الكتاب الذي بين أيدينا لمناقشة وتحليل التفاعلات والتأثيرات المتبادلة بين الربيع العربي وإسرائيل في كافة المجالات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ حيث يناقش في فصله الأول مفهوم الربيع العربي وموقفه من القضية الفلسطينية وإسرائيل، ثم يلقي الضوء على الموقف الإسرائيلي من ذلك الربيع، لينتقل بعدها لمناقشة تأثيره على الحياة السياسية في إسرائيل ومنه إلى موقف المؤسسة العسكرية، وفي الفصل الخامس يتناول الكتاب تأثيرات تلك الثورات على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في إسرائيل، ويختتم بقراءة واستشراف لأثر الربيع العربي على عملية التسوية السياسية للقضية الفلسطينية.

ويحصر الكتاب بحثه زمنياً بين انطلاق الربيع في 2010 وحتى نهاية عام 2013، بينما يحصر بحثه مكانياً في منطقة الربيع العربي وإسرائيل دون تناول العوامل الإقليمية والدولية، ويهدف إلى الكشف عن موقف إسرائيل من قيام تلك الثورات وتأثيرها على عملية التسوية في المنطقة، حيث يفترض بأن الربيع العربي قد أفسح المجال أمام إسرائيل للتمادي في سياساتها تجاه الفلسطينيين، وبأنه قد جعل من المجتمع الإسرائيلي أكثر راديكالية في سعيه لمواجهة الأخطار المحتملة والتي يقوم اليمينيون بالترويج لها.

ويحرص الكتاب على الالتزام بالمنهجية العلمية في تناول القضية، كما حرص على مراجعة الدراسات السابقة التي تناولتها أو تناولت بعض جزئياتها، وبعكس أغلبها فقد اهتم البحث بالتحليل العلمي في تناول ظواهرها مع التزام المنهجية البحثية والحياد والشمول.

ويعرف الكتاب ابتداءً الربيع العربي بأنه حراكٌ أكبر من الانتفاضات الشعبية وأقل من "الثورات" في ظل تذبذبها تارةً واقتصرها على بعض المطالب تارةً أخرى، ويلقي الكتاب الضوء على عدد من خصائص ذلك "الربيع" التي تميزه عن غيره من أشكال الحراك الشعبي سعياً لفهم أبعاده، ثم ينتقل بعدها للبحث في أسبابه ودوافعه، التي جاء على رأسها ما أسماه الكتاب بالجمود السياسي وغياب الديمقراطية التي دلت عليها بالإشارة إلى جدولٍ يظهر عدد سنوات حكم بعض الرؤساء والعوائل التي قادت المنطقة حتى قيام الربيع العربي.

ومن الدوافع لتلك الثورات أيضاً المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والانفتاح على أجواء الحرية والتنمية في دول أخرى، وفشل الحكومات المتعاقبة في إدارة السياسة الخارجية وصد الاعتداءات التي تعرضت لها المنطقة وحمايتها من التحجيم والاستغلال.

ويظهر وجود أربعة أشكال أساسية للحراك في إطار الربيع العربي، حيث المظاهرات السلمية في الميادين واللجوء إلى السلاح كما في ليبيا وسوريا، وثالثها الثورات الإصلاحية التي تجبر الأنظمة على تقديم تنازلات كما في المغرب والأردن، وأخيراً الاضطرابات المستمرة منذ ما قبل الربيع والمصحوبة بدرجة عالية من العنف والانقسامات المجتمعية كما في العراق والسودان، والتي لم تستطع تغيير الأوضاع القائمة فيها.

هذا وينتقل الكتاب للحديث عن موقف الربيع العربي من القضية الفلسطينية وإسرائيل، والموقف العربي أثناء الربيع من ذلك الملف، حيث يلاحظ الكتاب بأن الملف العربي الإسرائيلي قد شهد حالةً من الهدوء مقارنةً في الفترات السابقة، بينما زادت العزلة الإسرائيلية على المستوى الإقليمي والدولي، كما زاد ارتفاع سقف الحرية في بعض الدول للشارع العربي من التعبير عن غضبه وتنديده بإسرائيل وممارساتها، حيث يرى الكتاب بأن القضية الفلسطينية وإن لم تكن تتصدر الحدث العربي إلا أنها لم تكن غائبة، حيث أظهرت استطلاعات للرأي بأن الشارع العربي بأغلبية ساحقة لا يزال يرى بأن إسرائيل وأمريكا هما الأكثر تهديداً للأمن القومي العربي وبأن فلسطين هي قضية عربية، وقد كان حاضراً اتهام الشارع العربي للحكام بالتعاون مع إسرائيل في مطالباتهم بالرحيل.

وفي سياق الحديث عن نتائج الربيع العربي، يشير الكتاب إلى أن الأنظمة العربية وإن نجت من عقاب الشارع فإنها ستضطر إلى النزول عند طلباته أكثر من أي وقت مضى، إلا أن التهديد الحقيقي يكمن في الفشل في عملية التحول الديمقراطي وخطر الانتقال إلى مرحلة الدولة الفاشلة بالإضافة إلى تنامي التطرف مع إحباط الشباب وانسداد آفاق التغيير.

وعلى المستوى الإقليمي يلاحظ الكتاب تراجعاً للدول العربية والجامعة العربية قابلهُ بروزٌ لقوى إقليمية أخرى كتركيا وإيران، بينما سنحت الفرصة لدول عربية صغيرة ومستقرة لتصدر المشهد الإقليمي نيابة عن العرب، الأمر الذي خلق خللاً في بعض الملفات كالملف الفلسطيني خصوصاً مع تراجع دور كلٍ من مصر والعراق وسوريا التي تعتبر ذات وزن أكبر وذات علاقة مباشرة بالصراع العربي الإسرائيلي. أما على المستوى الدولي فإن ذلك التراجع والضعف قد فتح شهية قوى كبرى لتعزيز مصالحها في المنطقة وربما إعادة رسم خريطة تقاسمها، بينما لم يُبدِ الأمريكيون رغبة بالتدخل لإخراج المنطقة من تلك الحالة التي كان للأمريكيين دور في تدهورها إلى حدٍّ بعيد.

استهل الكتاب فصله الثاني بالحديث عن الفشل الإسرائيلي والغربي في التنبؤ بقيام ثورات عربية بالرغم من وجود عشرات مراكز الدراسات المختصة بدراسة المنطقة وتحليل أحداثها واستشراف مستقبلها، وحتى بعد قيام الربيع العربي فإن عدداً منها لم يتمكن من تقدير مآلات الحراك الشعبي الذي بدأ في دولٍ عديدة، أو وصفه وصفاً دقيقاً يمكنها من التعامل معه على الأقل.

وبالرغم من ذلك، فإن ناقوس الخطر قد دق في تل أبيب مع توالي سقوط الأنظمة بشكل دراماتيكي سريع وغير متوقع، حيث قرأ الإسرائيليون ما جرى بأنه استرجاعٌ لعنصر القدرة على ممارسة الضغوط على صانع القرار من قبل الشارع العربي، من جهة، ونفقٌ مظلم قد تدخل فيه المنطقة من فوضى قد تفسح المجال أمام مجموعات وأفراد لزعة أمن إسرائيل من جهة أخرى، عدا عن الصعود المتوقع لقوى إسلامية سياسية قد تسعى لتغيير المعادلة بشكل كاملٍ في المنطقة بأسرها.

ومن أبرز المخاوف الإسرائيلية التي يلقي الكتاب الضوء عليها؛ الخشية من خسارتها ورقة "الديمقراطية الوحيدة" في الشرق الأوسط التي لطالما استخدمتها في خطابها الموجه للغرب، وانتقال عدوى الثورة إلى المدن والبلدات العربية في إسرائيل عدا عن الضفة الغربية والقطاع.

ينتقل الكتاب بعد ذلك للحديث عن موقف إسرائيل من تغير الأنظمة الحاكمة في دول الربيع العربي التي كان وجودها - بحسب الكتاب - مريحاً لتل أبيب، وخصوصاً نظام حسني مبارك في مصر، حيث لم تستطع إسرائيل إخفاء قلقها لدى صعود الإخوان عقب الثورة ولا ارتياحها من الانقلاب عليه لاحقاً في 30 يونيو 2013.

أما موقف إسرائيل من الثورة السورية فقد شهد تبايناً، حيث دعا البعض إلى دعم الثورة السورية سعياً للحصول على جيران أفضل حسب وصف الكتاب، بينما فضل آخرون بقاء الأسد كضمانٍ لاستقرار المنطقة وخوفاً من قدوم الأسوأ، وربما حرصاً على إفشال الربيع العربي عبر خلق نموذج

دموي لمحاولات التغيير المنتهية بانهيار الدولة وتفككها، عدا عن حسابات أخرى لئلا أيبب تبدو طهران وأنقرة حاضرتين فيها بقوة.

ولم يغفل الكتاب الإشارة إلى موقف إسرائيل من عمليات التغيير في بقية الدول العربية التي رأت فيها ثل أيبب بالمجمل تتجه نحو استقطاب حاد على أسس أيديولوجية أو مذهبية أو عرقية، أو نحو سيطرة للعسكر وعودة لغياب الديمقراطية كما في مصر.

وفي الفصل الثالث يرصد الكتاب تأثير الربيع العربي على الحياة السياسية في إسرائيل، حيث يرى الكتاب بأن الربيع العربي قد تسبب بحالة من القلق والإرباك أدت إلى تعزيز التشرذم والاستقطاب بالإضافة إلى التطرف بين القوى السياسية الإسرائيلية.

ويقرأ الكتاب في نتائج الانتخابات الإسرائيلية لعام 2013، حيث يلاحظ غياب السياسة الخارجية عن برامج أغلب الأحزاب الإسرائيلية بالرغم من الاضطرابات التي تعم المنطقة، وتفضيل الحديث في هذه البرامج عن الوعود الاقتصادية والرفاه الاجتماعي، كما يلاحظ تسبب التشرذم في صعوبة تشكيل حكومة متجانسة عقب الانتخابات، الأمر الذي تسبب في عدم استقرار الحياة السياسية عموماً في إسرائيل.

أما بالنسبة للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية والتي أفرد الكتاب فصله الرابع لتسليط الضوء على موقفها من الربيع العربي، فقد أبدت تخوفها من قيام الدول العربية بإلغاء معاهدات السلام الموقعة معها، أو المطالبة بتعديلها، كما أولت الثورة المصرية اهتماماً كبيراً وحرصت على التمييز بين الثورات في الدول العربية، وأبدت تخوفاً كبيراً من سقوط تجهيزات عسكرية غير تقليدية في يد معادين لئلا أيبب وخصوصاً في سوريا وليبيا، عدا عن احتمال استغلال حالة الفوضى والانفلات الأمني لتشكيل معسكرات وخطوط تهريب سلاح كما في لبنان أو سيناء، وأخيراً التخوف من تبدل خارطة المصالح وقواعد اللعبة الدولية والإقليمية بالشكل المضر بإسرائيل والمهدد لوجودها.

ويعرج الكتاب على الخطوات العملية التي قام بها الجيش الإسرائيلي لمواجهة الأخطار المحتملة جراء الربيع العربي، حيث طالب بزيادة الميزانية المخصصة له وتمديد فترات التجنيد الاحتياطي ومراجعة عدد من الاستراتيجيات، كما سعى لتطوير الاستخبارات العسكرية ووسائلها وتقنياتها، إلى جانب استحداث وحدات جديدة وإعطاء أهمية أكبر للعمل في الفضاء الافتراضي نظراً إلى الدور الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في تحريك الشارع العربي.

ومن التأثيرات على الحياة السياسية وعلى المؤسسة العسكرية ينتقل الكتاب إلى الحديث عن تأثيرات الربيع العربي على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في إسرائيل، حيث تراجع الإنفاق على

الرفاه الاجتماعي في مقابل تعزيز النفقات على المجال العسكري والأمني، وتعزّز التطرف الديني والتوتر النفسي في المجتمع وعدم الشعور بالاطمئنان، هذا وسجلت أرقام كبيرة للهجرة العكسية ولهروب رؤوس الأموال من إسرائيل، الأمر الذي دفع عدداً من الإسرائيليين إلى المطالبة بتطبيع وضع الكيان الإسرائيلي في محيطه العربي، بينما انتقلت عدوى الاحتجاجات إلى شوارع تل أبيب للمطالبة برفع مستوى المعيشة والتغلب على الطبقية والفقر والمشاكل الاجتماعية.

ويناقش فصل الكتاب الأخير تأثير الربيع على عملية التسوية السياسية للقضية الفلسطينية، ففي الفترات التي سبقت الربيع حرصت إسرائيل على تعزيز هيمنتها ورفض تقديم أي تنازلات وتعزيز تطبيع علاقاتها مع الأنظمة العربية.

استراتيجياً، شكلت حالة الفوضى التي دخلتها المنطقة فرصةً لإسرائيل لتعزيز موقعها على خارطة الشرق الأوسط، ومن ناحية أخرى تراجعت إمكانية قيام حرب تقليدية بين إسرائيل والعرب في المدى المنظور، كما تراجع دور إيران بتهاوي نظام حليفها في دمشق، وتورطت تركيا في دعم الربيع العربي المتعثر الأمر الذي سيشغلها كما سيشغل الشارع العربي عن أي محاولة لمواجهة المشروع الإسرائيلي.

وقد خلّص الكتاب إلى وجود ثلاث اتجاهات أساسية في استقراء تأثير الربيع العربي على عملية التسوية: اتجاه متشائم، يرى في نجاح عملية التحول الديمقراطي أو صعود التيار الإسلامي يرى فيهما خطراً على عملية التسوية مع إسرائيل بما يحقق لإسرائيل مصالحها، وآخر متفائل يرى بأن القضية الفلسطينية ليست من أولويات تلك الثورات وبأن فرصة حقيقية لتطبيع وجود إسرائيل في محيطها قد تأتي مع تحول الدول العربية إلى دول ديمقراطية وسعيها لتنمية مجتمعاتها وتعزيز انفتاحها على المجتمع الدولي، بينما دعا الاتجاه الثالث إلى التزام الصمت والترقب لتجنب ارتكاب أخطاء بسبب قراءة خاطئة لمجريات الأحداث والتي قد تجر إسرائيل إلى مواجهة أخطار حقيقية.